



الأربعاء 6 أكتوبر 2021 04:34 م

في المقال السابق تحدث فضيلته عن فقه الموازنات لبيان لنا كيف تتم الموازنة بين المسائل ليتضح لنا ما فيه المصلحة والمنفعة، وفي هذه الحلقة من سلسلة أولويات الحركة الإسلامية يتحدث عن فقه الأولويات.

فقه الأولويات :

وأما (فقه الأولويات) فنعني به وضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقديم، أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير. هذا ما تقضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع. أعني أن خلق الله تعالى وأمره (ألا له الخلق والأمر) كليهما يوجبان رعاية هذا الترتيب.

السيرة النبوية وفقه الأولويات:

في العهد المكي كانت مهمة النبي -صلى الله عليه وسلم- محصورة في الدعوة إلى الله وتربية الجيل المؤمن الذي يحمل هذه الدعوة بعد ذلك إلى العرب، ثم ينطلق بها إلى العالم كله، وكان تركيزه على أصول العقيدة، وترسيخ التوحيد وعبادة الله وحده، ونبذ الشرك واجتناب الطاغوت والتخلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، وكان القرآن الكريم في تلك المرحلة يزكي هذا الاتجاه فلم يشغل المسلمون في هذه الآونة بالمسائل الجزئية، ولا بالأحكام الفرعية بل بنيان الإنسان الذي تحدثت سورة العصر: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر). لم يشترع للمسلمين أن يحملوا فؤوسهم الأصنام وهم يرونها كل يوم حول الكعبة، ولم يأذن لهم أن يشهروا سيوفهم دفاعاً عن أنفسهم، ومقاومة العدو (وعدوهم، الذي يسومهم العذاب، بل كان يقول لهم ما ذكره القرآن أن (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) وإن كانوا يأتون إلى رسولهم -صلى الله عليه وسلم- ما بين مشجوج ومجروح.

ارتباط الأولويات بفقه الموازنات :

إن فقه الأولويات مرتبط بفقه الموازنات، وفي بعض المجالات يتداخلان أو يتلازمان، فقد تنتهي الموازنة إلى أولوية معينة، فهنا تدخل في فقه الأولويات .

وجوب مراعاة النسب بين التكاليف الشرعية :

إن الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة. إن العقيدة في الإسلام مقدمة على العمل، لأنها الأساس، والأعمال هي البناء، ولا بقاء بغير أساس وبعد العقيدة تأتي الأعمال وهي متفاوتة تفاوتاً بعيداً، وقد جاء في الحديث الصحيح (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إمالة الأذى عن الطريق) والقرآن يبيّن لنا أن الأعمال تتفاضل عند الله، وليست في درجة واحدة، يقول تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عد الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عد الله وأولئك هم الفائزون) (سورة التوبة: 920).

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج. بل ذكر فقهاء الحنابلة وغيرهم أن الجهاد أفضل ما يتطوع به من أعمال البدن.

وفي فضل الجهاد جاءت أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة، قال: "مر رجل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشعب فيه عينة من ماء عذبة فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذكر ذلك لرسول الله فقال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلته في بيته سبعين عاماً" وفي فضل الرباط جاء حديث سلمان مرفوعاً: "رباط يومٍ وليلة

ويذكر المحقق ابن القيم الأقوال في: أي العبادات أفضل: هل الأفضل منها: الأشق؟ أو الأفضل: المتعدية النفع؟ ثم رجح أنه لا يوجد فضل بإطلاق، وإنما لكل وقت عبادة تكون هي الأفضل بالنسبة له. فعند المجاعات يكون إطعام الطعام أفضل ما يتقرب به إلى الله. وعندما يغزو الكفار بلاداً مسلماً يكون الجهاد أفضل الأعمال، وإمداد المجاهدين بالسلاح والمال من أعظم القربات. وعندما يموت العلماء، ولا يوجد من يخلفهم، يكون طلب العلم والتبحر فيه من أجل ما يؤجر عليه المسلم، ويحمد به عند الله وعند المؤمنين وهكذا يكون التفاضل بين الأعمال.

منقول بتصريف من كتاب - أولويات الحركة الإسلامية للعلامة فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي

<https://www.ikhwanonline.com/article/250142>